تفسير إبن كثير

ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ

أرشد سبحانه وتعالى عباده إلى دعائه ، الذي هو صلاحهم في دنياهم وأخراهم ، فقال تعالى :(ادعوا ربكم تضرعا وخفية) قيل معناه : تذللا واستكانة ، و) خفية) كما قال : (واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين) [الأعراف : 205] وفي الصحيحين ، عن أبي موسى الأشعري رضي االله عنه قال : رفع الناس أصواتهم بالدعاء ، فقال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " أيها الناس ، اربعوا على أنفسكم; فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا ، إن الذي تدعونه سميع قريب " الحديث .وقال ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس في قوله : (تضرعا وخفية) قال : السر .وقال ابن جرير : (تضرعا) تذللا واستكانة لطاعته .) وخفية) يقول : بخشوع قلوبكم ، وصحة اليقين بوحدانيته وربوبيته فيما بينكم وبينه ، لا جهارا ومراءاة .وقال عبد االله بن المبارك ، عن المبارك بن فضالة ، عن الحسن قال : إن كان الرجل لقد جمع القرآن ، وما يشعر به الناس . وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير ، وما يشعر

به الناس . وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزور وما يشعرون به .

ولقد أدركنا أقواما ما كان على الأرض من عمل يقدرون أن يعملوه في السر ، فيكون علانية أبدا . ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء ، وما يسمع لهم صوت ، إن كان إلا همسا بينهم وبين ربهم ، وذلك أن االله تعالى يقول : (ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين) وذلك أن االله ذكر عبدا صالحا رضي فعله فقال : (إذ نادى ربه نداء خفيا) [مريم : 3] .وقال ابن جريج : يكره رفع الصوت والنداء والصياح في الدعاء ، ويؤمر بالتضرع والاستكانة ، ثم روي عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس في قوله : (إنه لا يحب المعتدين) في الدعاء ولا في غيره . .وقال أبو مجلز : (إنه لا يحب المعتدين) لا يسأل منازل الأنبياء .وقال الإمام أحمد بن حنبل ، رحمه االله : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا شعبة ، عن زياد بن مخراق ، سمعت أبا نعامة عن مولى لسعد; أن سعدا سمع ابنا له يدعو وهو يقول : اللهم ، إني أسألك الجنة ونعيمها وإستبرقها ونحوا من هذا ، وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها . فقال : لقد سألت االله خيرا كثيرا ، وتعوذت باالله من شر كثير ، وإني سمعت رسول االله صلى االله عليه وسلم يقول : " إنه سيكون قوم

يعتدون في الدعاء " وقرأ هذه الآية : (ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين)

وإن بحسبك أن تقول : " اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ، وأعوذ

بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل "ورواه أبو داود ، من حديث شعبة ، عن

زياد بن مخراق ، عن أبي نعامة ، عن ابن لسعد ، عن سعد ، فذكره واالله أعلم .وقال

الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا الجريري ، عن أبي نعامة : أن

عبد االله بن مغفل سمع ابنه يقول : اللهم ، إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا

دخلتها . فقال : يا بني ، سل االله الجنة ، وعذ به من النار; فإني سمعت رسول االله صلى

االله عليه وسلم يقول : " يكون قوم يعتدون في الدعاء والطهور "وهكذا رواه ابن ماجه ، عن

أبي بكر بن أبي شيبة ، عن عفان به . وأخرجه أبو داود ، عن موسى بن إسماعيل ، عن

حماد بن سلمة ، عن سعيد بن إياس الجريري ، عن أبي نعامة - واسمه : قيس بن عباية

الحنفي البصري - وهو إسناد حسن لا بأس به ، واالله أعلم .